اللغة العربية في غينيا بين الموجود والمقصود

محمد صالح بن ألفا عمر جالو

مقدمة :

إذا كانت نيجيريا قد أنجبت آل فودي ؛ ومالي الشيخ أحمد بابا التنبكتي ؛ والسنغال الشيخ الحاج عمر ؛ والشيخ الخديم ؛ فإن الديار الغينية أنجبت جهابذة أكفاء ، وفطاحل نجباء لا يقلون نضجا ورسوخا عن هؤلاء الأفذاذ ، لو عاشوا في غيرها لوسموا بنادرة السودان ، أو بفخر السوادان ، من أمثال : جرن جاو وأبناءه ، والشيخ الدلني ، والشيخ كرنمخبا ، والشيخ طلبي كبا ، وغيرهم كثير .

تزخر غينيا بالعديد من الكنوز التي ما زالت مغمورة ، وكلها نفائس علمية لا تقل روعة عما خلفه علماء نيجيريا ومالي والسنغال ، بل مما لا ريب فيه لدى المطلع على هذه الخبايا أن من بينها ما تختلف عن الروائع التي خلفتها أرباب هذه المدارس من حيث الكم والنوع ، إذ لكل قارة من القارات الافريقية خصائصها العلمية والثقافية التي تجعل الاختلاف بينها وبين غيرها من المناطق واقعا لا يتأتى إنكاره .

وتعتبر إنتاجات علماء غينيا – اللغوية والشرعية – مثلثا ذهبيا يستطيع الباحث الماهر أن يجد في دفتيها ما يروي غليله من روائع التراث العربي الافريقي ، ويتجلى ذلك في تلك الروائع من الخصائص الأسلوبية ما لا يشمه في غيرها .

والواقع أنه ليس للمثقف الغيني باللسان العربي إلمام كاف بتراث أجداده ، لعل أحسن انطباع لدى شرذمة منهم من أقبل على مائدته بحكم التخصص أو غيرة على نفائس الشيوخ ؛ لا يعدوا أن يكون نظرة سطحية ، أو اعتناء ضيف بمضيفه عن جوهرة ما تركه الأجداد .

ليس من المبالغة القول إن الازدهار الذي حصل للثقافة العربية في الأندلس حصل في غينيا ازدهار مطابق له ، سواء كان ذلك في جودة الإنتاج ، أو تنوع الأغراض الشعرية ، أو تعدد الضروب الأخيلية ؛ وأساليب البناء .

ولا بأس أن نعرض نموذجا واحدا من فرسان الأدب الغيني – نظرا لمحدودية الصفحة – وهو الشيخ عثمان كوصا – أحد كبار شعراء غينيا – يقول في رائيته المزخرفة بالمحسنات اللفظية ، مع السلس البسيط ، والجمل المعنى ، والرقيق اللفظ ، وهي تنم عن مقدرته اللغوية ، وتضلعه فيها ، وهذا الشاعر مقارنة بغيره من فحول شعراء غينيا ، كبنت لبون يبارز فارسا، يقول :

ولعبت في شعري بمدح محمد ... والعرب تلعب بالكلام وتفخر
وقصيدتي لما انتهت شبهتها ... بالبكر إذ هي كالأنيسة تبهر
عربية أولدتها من فكرتي ... والفكر تنتج منه بكر تمهر
بكر يفوق جمالها شمس الضحى ... عذراء من كل العذارى أغير
غارت على ألا يقول كمثلها ... أحد من الشعراء إذ أنا أشعر
والشعر ملكني الإله زمامه ... مهما أشأ تفعيله يتيسر
أنى أردت تفعلا ينقاد لي ... فمذلل لي صعبه ومسخر
لوَ ان معرفة امرئ لغة العرب ... تعلي ليرفع لي عليهم منبر
خذها إليك مدائحا مختارة ... مني بشكل خريدة تتصور
برزت بزينتها تميس كأنها ... حوراء بين خيامها تتبختر

فابن الملوح لو رآها لم يقل في العامرية شعره إذ يشعر
هذا فلا تعجبك مني وصية سعدية أورثتها يا مبصر
أني احتذيت حذاء شيخي والخطا ليس بواحدة فخطوي أقصر .....

ومهما يكن من أمر ، فإن غينيا أنجبت علماء وأدباء وشعراء ، كانوا يتلاعبون بالعربية تلاعب الوليد بالخذروف ، لا يقلون عن المتنبي والبحتري وأبي فراس شاعرية ، نضجوا في لسان العرب تمكن الفيروزآبادي وسيبويه والكسائي ، وملكوا من زمامها ما ملك هؤلاء ، ومن العاطفة والتخيل ما كانوا يتوفرون عليه ، فقط متى تسمح الظروف بإخراج هذه القلائد الدرية من حلك المخطوطات إلى نور الطباعة ؟ .

واعتبارا لكل ما سبق ، يمكن أن نتساءل : ما هو واقع اللغة العربية اليوم بغينيا ؟ هل استطاعة المدارس العربية الغينية أن تعيد للعربية بعضا من وهجها ؟ وما هي الآفاق المستقبلية؛ التي يمكن التفكير فيها لتعزيز دورها الهام والحيوي في مجتمعنا الغيني ؟.

هذه بعض التساؤلات أو لنقل الاشكالات التي لا ندعى أننا قادرون على تجليتها في هذه المساهمة المحدودة ؛ بقدر ما سنحاول أن نبسط أمام القراء بعضا من الجوانب التي تكتنف هذه الاشكالية .

وما نتطرق له من بيان واقع العربية ومقصودها في غينيا ليس إلا صرخة قوية من صميم غيور ، نريد بها لفت انتباه أهل الحل والعقد إلى الوضعية المتذبذبة التي تعيشها لغة الضاد في غينيا ، متأملا النهوض بها وإعادتها إلى سيرتها الأولى، لعل نتائج هذا الجهد المقل ستنصب في حَلِّ معضلاتٍ ظَلَّتْ طَلْسماً يُفَسَّرُ بطلاسم أخرى أكثر غموضا وأبعد عن روح الحقيقةِ والبحثِ العلمي .

ولله در الشاعر النيجيري :

ألدّ أعدائك الأبناء يا ضاد أمر تعل له بالحزن أكباد
راموا العلا وسموم اللحن سارية في قولهم وهم بالعجز أسياد
قالوا بأنك للإعراب ميتة وقد أطاحوا الذي أسلافهم سادوا
يعبرون مساعي سيبويه وفي قلوبهم لحماة الدين أحقاد
فصحى ستحيين حتما رغم أنفهم لتستعاد إلى الأعراب أمجاد
لا تهدموا قلعة الفصحى بغيظكم بها تحصّن آباء وأجداد
من يبلغ اليوم بالأحزان حافظنا يا شاعر النيل قد خانتك أحفاد

أولا : مدخل تاريخي عن غينيا :

تقع غينيا في أقصى الغرب من القارة الإفريقية ، وتطل على المحيط الأطلسي بساحل يبلغ طوله ٣٠٠ كلم ، تحدها شمالا : سنغال وغينيا بيساوو ، وشرقا ساحل الحاج ، ومن الشمال الشرقي : مالي ، وجنوبا : ليبريا وسيراليون .

وتنقسم غينيا كوناكري حسب المناطق الطبيعية إلى أربع مناطق طبيعية وهي : ١- غينيا السفلى ، ٢ - غينيا الوسطى ، ٣- غينيا العليا ، ٤ - غينيا الغابية .

ويرجع تاريخ دخول الإسلام في غينيا إلى القرن الأول الهجري على الصحيح ، فقد كانت غينيا جزء من مملكة غانا التي ازدهر نجم الدين في سمائها من أوائل النصف الأول والنصف الثاني من القرن الأول الهجري (١).

ويبلغ عدد المسلمين اليوم ٨٥٪ ،أو أكثر ،و١٠ ٪من المسيحيين ، و٥٪ من الديانات المحلية .

ثانيا : اللغة العربية بغينيا الموجود – نظرة في البعد التاريخي -

شهدت اللغة العربية خلال تاريخها المجيد فترات من الازدهار والانتشار تخطت فيها حدود مجالها العربي إلى آفاق ومناطق واسعة وذلك في عدد غير قليل من البلدان خارج نطاق العربية وخاصة في بلدان القارة السمراء.

وقد تمتعت اللغة العربية بوضع ومكانة متميزة على الخريطة اللغوية لغينيا؛ حيث استقرت العربية في جميع أنحائها منذ وقت طويل يسبق دخول أي لغة من اللغات الأوربية إليها ، وتحدث بها عدد كبير من أبنائها بطلاقة ويسر ، ونظموا الأشعار بها في جد وهزل ، حتى قيل « عرب سودان؛ لو عاشوا الجاهلية لضربت عليهم قبة حمراء من أدم ليحكموا بين الشعراء « (وقطعت جهيزة قول كل خطيب) .

وتأثر الشعب الغيني بمختلف قبائلها بالروح العربي أيما تأثير؛ في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، من أجل ذلك تسربت كلمات وعبارات كثيرة من العربية إلى لهجاتها المحلية .

فقد كان للإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية في ربوع غينيا ؛ حيث سارت العربية مع الإسلام جنباً إلى جنب وحلقت معه أينما حل وحيثما ارتحل ، فاستُخدمت العربية في أداء العبادات والشعائر الدينية لمن يعتنق الإسلام ، وازداد إقبال معتنقي الإسلام على تعلمها رغبة في التعمق في الدين عن طريق الرجوع لمصادره الأساسية عبر قراءة ومدارسة مصنفات الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الشرعية ، وقد أدى هذا الارتباط الوثيق بين اعتناق الاسلام وتعلم العربية إلى أن جعل للعربية درجة من الانتشار في كل مناطقها التي تضم جماعات مسلمة ، وخاصة في منطقة فوت جالون ، حيث كان الفقهاء يلقون جميع دروسهم وخطبهم بالعربية الفصحى ، بل كان بعضهم يجنح إلى تحريم التدريس باللغات المحلية ، كما كان لنشاطاتهم الجهادية ، ومجالسهم العلمية دوراً كبيرا في نشر اللغة العربية فيها ؛ حيث قاموا بإنشاء المساجد وفتح المدارس في كثير من البقاع ، كذلك للدعاة والسفراء الشناقطة الذين كانوا يفدون على قيعانها جهوداً صادقة في تثبيت أركان الإسلام واللغة العربية فيها .

هذا وإن تاريخ ولوج الثقافة العربية إلى غينيا يعود إلى بداية دخول الاسلام فيها ، ويرجع ذلك إلى القرن الأول الهجري على الصحيح ، فقد كانت غينيا جزءا من مملكة غانا التي ازدهر نجم الدين في سمائها من أوائل النصف الأول والنصف الثاني من القرن الأول الهجري .

ومن ذلك العهد ألقى الاسلام عصا تسيارها فيها ، وصارت لغة العربية لغة الثقافة والإدارة والتجار والمراسلات ووسيلة الاتصالات ، حتى إن كثيرا من لغاتها الأصلية كانت تكتب بالحروف العربية ، فقد دامت هذه الهيمنة لها إلى أن تغلبت عليها لغة الاستعمار .

فقد بذل مسلمو غينيا كل ما أوتوا من قوة في إثبات أركان اللغة العربية ، وترسيخ جذورها في بقاعها ، ولم يتوقف الأمر عند إلمامهم بالعربية للقيام بالشعائر الدينية ، أو إتقان بعضهم لقواعد العربية وعلومها ، بل انتشرت فيها انتشارا كبيرا حتى إنها استخدمت كلغة تواصل مشتركة بين قطانها ، كما استخدمت كلغة للتعليم وللثقافة وللأدب ، وظهرت الكتب والمصنفات في شتى مجالات العلم وخاصة العلوم اللغوية والشرعية ، ودونوا لغاتهم بالحرف العربي ، بل والأكثر من ذلك أن العربية كانت لغة الإدارة والحكم فيها ، وضعت بها المراسيم وصيغت بها القوانين وصارت لغة المراسلات والمكاتبات الحكومية.

لعل من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار العربية في غينيا :

- ملائمتها لجميع عناصر الحياة : وخاصة في مجالات التربية والتعليم والتكوين والبحث العلمي ، فإن من شأنها أن تساهم في تجذير الادراك السليم للمرجعية الاسلامية ولأصولها المعتقدية والمعرفية ، ولأطرها الاجتماعية والثقافية والحضارية ، ولما كرسته هذه المرجعية من قيم ومبادئ ومسلكيات الانفتاح والحوار والسلم والتسامح ، وتقبل عناصر التعدد والتنوع والاختلاف الانسانية والدينية .
- لغة دين سماوي : فهي تنتشر في ظل الاسلام وفي حمايته ، ومقدسة لدى المسلمين لنزول القرآن بها ، وهذا ما جعل الشعب الغيني يتنافسون إلى تعلمها ولم ينظر إليها على أنها لغة أجنبية ، بل وسيلة إلى معرفة دينهم .

وكانت الدراسة في غينيا في العهد السحيق ترفرف راياتها في المساجد وملتحقاتها ، ثم انتقلت إلى المدارس النظامية ، ومن هنا فقدت الغاية والهدف ، إذ صار حرص المتعلم الحصول على الدرجات أكثر من نهل العلم ، وماتت روح الإخلاص عند الطلبة والأساتذة .

شهدت اللغة العربية تراجعاً ملحوظاً على الصعيد الغيني وخاصة في أعقاب قدوم الاستعمار الأوربي لخيراتها ،

وما صاحبه من فرض ونشر للغات المستعمر ، ومحاربة لنفوذ وتفوق وانتشار اللغة العربية على الميدان الغيني، فتوقف الامتداد الكبير الذي حققته اللغة العربية خلال عصور التفوق الحضاري الإسلامي ، وبدء انحسار وتراجع اللغة العربية أمام تقدم اللغات الاستعمارية ، لو لم تكن العربية تتمتع بمناعة ذاتية ساعدتها على التصدي للتحديات الأوروبية والبقاء صامدة أمام العوامل العاتية لاندرست وصارت دخانا .

ولا تزال قيمتها الشعبية التي ترعرعت ورضعت حب الدين ثابتة على الاستمرار والتطور إلى أهدافها المنشودة ، والتي تكمن في تمكين الشعب الغيني من معرفة الاسلام وإدراك كنه الثقافة الاسلامية .

والحق أن الاسلام لا يزال مظلة تحمي العربية من كل غارة ودمار ، وتقيها من كل هجمات شرسة ، فلولا الاسلام لما بقيت للعربية أثرا في القارة السمراء .

فقد مرت العربية بثلاث مراحل أساسية في غينيا :

- مرحلة ما قبل الاستعمار
- مرحلة فترة الاستعمار
- مرحلة ما بعد الاستعمار

وتبدأ الفترة الأولى من بزوغ فجر الإسلام في البلاد حوالي القرن الأول الهجري ، ففي هذه الفترة شهدت السيطرة النامية للعربية في الثقافة الغينية ، حيث كانت اللغة السائدة في الحياة العامة من الإدارية والتجارة والدبلوماسية ، ازدهرت آدابها وفنونها ، فلم يكتفي العلماء بالأخذ فحسب ، بل ساهموا في الإنتاج ، وشاركوا في حقل التدوين والتأليف نثرا وشعرا ، وطوقوا جميع مجالات العلوم اللغوية والشرعية ، وإن كانت الساحة العلمية تشهد بغزارة الانتاجات الفقهية وإشغاله مساحة واسعة .

ففي المنحى الشعري ، فإن القصائد الغينية تعتبر مدا من الشعر الجاهلي ، بدءً بالغزل والنسيب ، ثم حسن التخلص منه إلى الغرض الأساسي .

فقد نسجوا على منوال الشعر العربي وتأثروا به تأثرا بليغا ، واشتقوا منه جميع خصائصه الفنية ، وتقمصوا بطابعه العاطفي والوجداني ، إلا أن الزوايا الصوفية في المدائح النبوية كانت أكثر من غيره ، ويعتبر الشيخ علي اللبوي – الشهير « بجرن علي بوبديم « – من المبدعين في هذا المجال ، فقد كان الشيخ لا يجد الراحة والغبطة إلا في المدح النبوي كما أوحى الى ذلك بقوله:

بمدح رسول الله في القلب راحة ××× ألا فأعينوني على راحة القلب .

و كانت أمنيته أن يرزقه الله بمن يخلفه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم قال :

لأمدحه ما دمت حيا فإن أمت ×× يرث عني الأمداح من كان لي مثلا .

وفي العهد الاستعماري اعترى العربية داء التراجع والتخلف أمام لغة المستعمر ، وفرضت على المجتمع بقوة ، مع التشجيع عليها بالمغريات المادية ، – ولم تلق العربية أي تشجيع إلا أقلام بعض الدعاة والشعراء – إلى أن نجح المستعمر من تضعيف العربية وترحيلها وإبعادها عن التعليم الرسمي والتقليل من سيطرتها، ووضعها في زوايا ضيقة ينظر إليها نظرة الاحتقار والاستخفاف .

الحق والحق أقول: إن العربية عاشت في هذا العهد في خناق شديد إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ففيه اضطر المستعمر إلى التخفيف من حدة علواءه واستبداده ، بعد أن عرف بالظلم والعنف ، وهو الذي جاء – كما زعموا – لنشر الثقافة وإحياء التراث الافريقي وتحريرهم من رق الجهل.

ومن ذلك العهد لم تزل العربية ساجدة لا تطأطأ برأسها إلا في المناسبات الدينية ، ولم تزل في خناق الاستعمار

مشدودا على عنقها ، ولم تنته محنتها بعد رحيل الاستعمار السياسي ؛ وبقاء الاستعمار الثقافي الذي هو أنكى وأدهى ، فقد كان من أولى الشعارات المرموقة أيام الكفاح الوطني وحركات التحرير من الاستعمار : استعادة مكانة الثقافة الدينية وإزالة هيمنة التبعية ، وكان من المتوقع بعد بروز شمس الاستعمار وامتلاك زمام الأمور أن تتخذ قرارات في الموضوع ، ولكن كل ذلك لم يقع ، استمرت محنة العربية مع الاستقلال بأشد مما كانت عليه ، وأول مظاهر التعسف في حق المستعرب : أنه ما زال يعاني في أوساط المجتمع الغيني الكثير من التحقير والتهميش والإهمال الحكومي .

وبالرغم من كل المحاولات التي تنوء بها السلطات المحلية في منع انتشار الثقافات الدينية ، إلا أن ذلك لو يمنع الناشطون الدينيون من إقامة وتأسيس الجمعيات الإسلامية التي تساهم في نهضة حقيقية للدين ، ونفث غبار التخلف عنها ، وبث صحوة شاملة بواسطة نشر الدين الصحيح السليم البعيد عن كل الترهات والأباطيل .

فالعربية اليوم في محنة شديدة فلا أدل على ذلك من إقصاء أهلها عن المناصب العليا ، وقطع المنح الدراسية عنهم ، ومنع الخروج من العربية – بعد الثانوية – إلى الفرنسية كما كان في الأنظمة السالفة ، فإن استمر الوضع على هذا النمط الذي هو عليه الآن حاليا فسوف يقل الاهتمام بالعربية ، فإن تجويع حاملي الشهادات العليا وإقصائهم من المناصب العليا سياسة ناجحة في ذبح التعليم الشرعي في البلاد !.

ومن خلال هذه الديباجة نستشف بأن بداية التعليم الديني في غينيا يرجع إلى بداية دخول الإسلام فيها ، فقد ألفت العربية أرضا خصبة حيث استطاعت أن تنمو في ربوع غينيا بشكل سريع جدا .

فقد كان تعليم القرآن نقطة الانطلاق والمدخل الأول لتعليم الدين وثقافته ، ثم يبدأ بعلوم الآلة ويتطور إلى المراتب العليا من التعليم ، وأعلاها في فوت جلون مرتبة «جرن» وهي تفوق درجة الأستاذية في لغة العصر ، ولا يلقب به إلا من حاز جميع الفنون المقررة في المجالس العلمية ، ويحيط بها حفظا وفهما .

لقد اشتهرت بعض المناطق الغينية بالعلم والصلاح والثقافة والحضارة مثل منطقة فوت جلون التي كانت قبلة لرواد العلم ، وشهدت نهضة علمية شاملة ، وأقيم فيها مماليك إسلامية تحت قيادة الفقهاء ، وكذا منقطة كنديا ، وكان الناشط العلمي والثقافي فيها الحاج محمد فاديقا مؤسس مدرسة الفادقية ، ومدينة كانكان وغيرها .

شملت النشاطات العربية عدة مجالات الحياة العامة ، وكانت الارشادات تسطر بمختلف أنواعها بالعربية ، وتخط التوجيهات بالحرف العربي مع استخدام اللغة المحلية ، والخطب المنبرية كانت تلقى بالعربية الفصحى ، وكذا الدروس في المجالس ، بل كانت العربية تستخدم في الوسائل الإعلامية في الجماهير .

وليس من المبالغة القول : إن الثقافة العربية عاشت حينا من الدهر في غينيا في عز ومتعة لم تعشها في كثير من الدول العربية الاسلامية ، ونالت وقعا شديدا في نفوس سكانها ، وهذا ما دفعت حركة التنصير إلى ترجمة بعض ضلالاتهم إلى اللغات الغينية مع استعمال الحرف العربي لما يعلمون من مكانتها في نفوس الغينيين .

وصفوة القول : إن إماتة العربية ستتبعه حتما زعزعت أركان الدين ، والمستعمر الفكري دائب على بلوغ هذا الهدف ، وها هي فرنسا تراقب عملية التعريب وتطورها بحذر شديد ، وتعمل على إعاقتها ، والغرض هو فصل مسلمي غينيا عن تاريخهم الروحي والثقافي ، وإلقاء ستار كثيف على ماضيهم المشرق المجيد .

ولا يخف موقف الاستعمار الفرنسي المعادي للغة العربية في مستعمراته والثقافة الاسلامية بوصف العربية جزء لا يتجزأ من تراث تلك الشعوب وحضارتها ، والشواهد التاريخية في هذا المجال كثيرة ، بل الواقع الماثل يشهد بذلك في ترويج الفكر الفرنكفوني للغة العربية وثقافتها بأنها « مجرد لهجة أو لغة ميتة نادرة مهجورة وضعها يشبه وضع اللاتينية اليونانية القديمة ، فهي غير مقروءة وصعبة معقدة غير قابلة للاستيعاب ولا تؤدي وظيفة التواصل ولا تلاءم الحضارة المعاصرة وإنما تنحصر في مجال العبادة ، أشار الى هذا الوليام ماريسي بقوله « إن اللغة العربية لغة المحكومين لا بد أن تختفي فتترك مجالا للغة الحاكمين الفرنسية أثرا وضوحا ونجاعة ، والأقدر على تيسير الانتقال

إلى الحضارة الحديثة (٢).

ثالثا : اللغة العربية بغينيا – المقصود – رؤية مستقبلية

إن اللغة العربية اليوم في غينيا تعيش في خضم متلاطم من أحراش الفرنسية والانجليزية ، وتخوض حرب البقاء والتطور المشروع في المجتمع الذي كانت لها الغلبة فيه ، على الرغم مما تواجهها من صور التحدي ، وخاصة عندما تقبل الحكومة والجمهور على الثقافة الفرنسية والانجليزية ويحيونها ويعجبون بها ، ويجد الكثير من أبناء غينيا أنها الوسيلة الناجحة لتأمين حوادث المستقبل .

وهذا ما أنزلت لغة المستعمر بقوة إلى ميدان المجتمع الغيني حتى بلغ الأمر إلى حد الخطر الذي نخشاه على مكتسباتنا الدينية والتربوية ، وعلى لغة القرآن .

والأسوأ والأخطر من هذا أن يتعلق بعض أبناء غينيا بهذه الأفكار ويتلقونها ببراءة الأطفال ، ويرددون ما يمطر عليهم المستعمرون من سهام فكرية ، ويهبون بشب الحرب على الفصحى وحماتها متذرعين بالواقعية المرة ، وبالقضايا الوطنية حينا ، وكل ما يدعون إليه وينادون به يصب في إناء الموتورين الذين يعلنون على الملأ بغضهم للدين ، ويزعمون بأن العربية طارئة ومحدثة ، والحق التخلص من هذا الطارئ الدخيل .

إن من دوافع الغيرة على مستقبلنا المعرفي ومستقبل أجيالنا ينبغي أن تبرز أكثر من سؤال وتقوم أكثر من علامة استفهام تشير إلى ما آل إليه حال اللغة العربية من ضعف وخوف وترقب ، وأن تنظم المؤتمرات والندوات في أكثر من مكان وزمان تناقش ظاهرة التهميش التي تعتري العربية والمستعرب في إقصائه عن الواقع وإلقاءه في الحاشية ، لعلنا نهتدي إلى علاج ناجح يزيل طوق التخلف الذي يحيط بنا ، وبكل منشط من مناشط حياتنا ، فإن العربية اليوم تمر بتحديات طارئة مغايرا عما كانت عليها قبل اليوم

إن إدراك الواقع الذي نعيشه بكل ما فيه من مثبطات وإحباطات هو أول التصحيح لمناشط حياتنا كلها ، واللغة العربية هي أول تلك المناشط ، فمن أراد التكهن للمستقبل لا بد له من القفول إلى الماضي ، وعليه يمكن أن أكون متفائلا ومستبشرا في أن مستقبل العربية في غينيا سيكون مشرقا كالماضي ، وأنها في سبيل النهوض المتجدد ، وموضوع التهميش وظاهرة الاستخفاف التي نشكو منها ليس ضعفا فينا ولا في الثقافة التي ندرسها إنما هو راجع إلى سيطرة لغة القوي القادر ، ومن طبيعة الأشياء أن يؤثر القوي على من هو دونه بالقوة والغلبة ، وهي نشاط إنساني مؤثر ومتأثر تخضع لهذا القانون .

وهنا سأحاول عرض أهم الأفكار والتصورات – بإيجاز – نظرا لمحدودية المداخلة – التي تصح أن تكون مفتاحا لأبواب المستقبل الزاهر أمام العربية ، ولكن فقط على سبيل الاقتراح ومن أجل جعلها أرضية أولية للنقاش والتحاور والتفكير في ممكنات التجاوز والآفاق البديلة المتاحة للتجديد والتطوير والاصلاح ، لعلها تساهم في محاولة استنهاض الهمة لبناء مستقبل متلألأ للعربية ، ولعل حالة الولادة المتعسرة التي تعانيها اللغة العربية تنتهي على خير ويسر وسلام .

ومن أبرز الآفاق التي يمكن فتحها للحوار والنقاش ، بل لمحاولات رفع جدار المستقبل الباهر للعربية في غينيا ، ما يلي بإشارات سريعة والتأمل يترك للقارئ :

– تكثيف التعاون الدولي العربي الاسلامي : وخاصة في ميادين التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية ، وهنا تنجلي أهمية إقامة المشاريع الإسلامية ، مثل البنوك الإسلامية أو التأمينات الشرعية والشركات الإسلامية ، وقد تعين ذلك على توفير مناخ بيئة اقتصادية ملائمة تنتعش في إطار حركتها بنوك لغوية أو شركات أو منظمات لغوية تنتعش وتتنافس وتتضارع في تبادل تلك اللغة المعتمدة في سياق مجتمع معين ، وهذا يفتح فرصا عملية للمستعرب للخوض في المجالات الحياة العامة ، لأن اللغة لم تعد في المنظورات السوسيولوجية والاقتصادية السائدة في المجتمعات المعاصرة مجرد وسيلة اجتماعية للتواصل ، أو

تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر والخيرات والتقنيات ، وإنما غدت أداة تبادل اقتصادي للسلع والمنتجات والخدمات ، بل هي نفسها منتوجا أو سلعة قابلة للتقويم والتقدير والتوريد والبيع والشراء غير آليات تسويقية متعددة متفاعلة على ثقافة وقوانين السوق بما هي مجرد محتوى لاقتصاد المجتمع الليبرالي المعاصر ، وقطب جاذب لكل مكوناته وتوجيهاته وتبادلاته المادية والرمزية .

- إبراز الدور المحوري للبدان العربية في دعم وجود وتداول العربية في بعض الإدارات في غينيا ، وخاصة في مجال التربية والتكوين والبحث العلمي .
- تنوع أجواء التخصصات العلمية : وهذا يخص دارسي العربية من أبناء غينيا ، لم لا وجميع التخصصات اليوم تدرس بالعربية ، علينا بزمام التخصصات الحديثة ، دون التقوقع على الدراسات الشرعية والعربية فقط ، فنحن بحاجة إلى المتخصصين في السياسة والاقتصاد والقانون والترجمة وعلم النفس ، وغيرها من العلوم المعاصرة ، وأما إذا ركزنا على المنحى الشرعي واللغوي ، فهذا يجبرنا على الرعي في بستان التدريس والإمامة .
- تشجيع عمليات ومشاريع الترجمة من العربية إلى الفرنسية مع دعم متقن وممنهج ، على أن يتم ذلك وفق سياسة ثقافية وعلمية وتربوية متكاملة ، حتى يطلع الشعب الغيني على كنه الثقافة العربية ومميزاتها.
- فتح المعاهد والأقسام في التخصصات العصرية بالعربية ، مثل قسم التكوين في الاقتصاد الاسلامي أو في المعاملات المالية المعاصرة ، أو الاعلاميات وغيرها ، وتكون تلقي هذه المعلومات بالعربية.
- تأسيس مراكز تكوين اللغة العربية مجانا : وتشمل جميع جهات غينيا ، ويشرف عليها الخبراء والمتخصصون في مجال التربية وطرق التدريس ، واللسانيات والتقنيات التعليمية ، مع الاهتمام ببناء مناهج للغة العربية التي تلائم البيئة الغينية ،
- إنشاء مكتبات غنية ، وكراس بحثية للغة العربية في جامعاتنا الغينية ، مع وضع خطة تعليم العربية عن طريق الإذاعة والتلفزة .
- الثقة المطلقة والايمان العميق لكل المستعربين بأن الثقافة الدينية لا تندثر ولا تضمحل ، فإن العربية ستعود كما كانت ، قد تختفي قليلا ولكنها لن نموت ، وستنهض من كبوتها وتعود إلى مركز الصدارة في القائمة الإنسانية .

وبعد سرد هذه الحيثيات أقترح تأسيس منظمة عربية من مثيل « الفرنكوفونية « نسميها ب» العربفونية « أو «الحركة الإستعرابية «، تعتنى بقضايا العربية تعليما وبحثا وإشعارا ثقافيا وحضاريا ، ليس فقط في غينيا بل يمكن أن تمتد إلى الدول المجاورة ، ولعلها تكون همزة وصل لتكثيف التعاون الدولي العربي الغيني في مجالات التنمية البشرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ووسيلة لربط العلاقات الأكاديمية بين الجامعات العربية الافريقية .

الخلاصة :

- ساهم الاستعمار الذي جثم فوق كاهل اللغة العربية لفترة ليست بالقصيرة في خلق حالة من الضعف والتهميش في المجتمع الغيني ، ككل متكامل دفعت بها الزاوية ، لهذه القوى المستغلة مما جعل المستعرب واهنا هشا ، غائبا كل الغياب من واقع مجتمعه .
- إن حالة الانعزال عن المناصب الفاخرة التي يعيشها دارسوا العربية اليوم في غينيا ، نتيجة لتراكميات تاريخية طويلة ، أدت إلى إلقائه في غيابة الجب ، وصفى بدلا من ذلك على السطح الديني ظواهر لا تنبئ إلا عن التخلف والتقوقع .
- إن ضعف العائد المادي جعل كثيرا من المستعربين ينصرفون إلى البحث عن لقمة العيش ، لأن البطون الخاوية لا تفكر بل تمقت الفكر والتفكير ، إنه معضلة دارسي العربية التي حرفته عن دربه الصحيح وتراجع دوره العظيم في صياغة مستقبله ، والإسهام في نهضته ورفعته .

- إن الرجوع إلى الماضي ، وإمعان النظر في الجهود المكثفة التي يبذلها المثقفون باللسان العربي يبشران بمستقبل زاهر للمستعربين الغينيين ، وخاصة إذا نوعوا أجواء التخصصات ، واستفادوا من العلوم المعاصرة ، وربطوا العلاقات الأخوية بينهم وبين العالم الاسلامي .

لائحة المصادر والمراجع

- التعليم في غينيا: مقالة للدكتور جرنو إبراهيم باه منشورة في الشبكة العنكبوتية .
- الفقه والفقهاء في غينيا : للباحث ، مجلة رابطة العلماء المحمدية العدد المزدوج ٣ – ٤ .
- قضية دارسي العربية في افريقية : مقالة للأستاذ عبد الرزاق كبا ، منشورة في مدونته.
- الاسلام والمسلمون في السنغال : منشورة في الشبكة العنكبوتية .
- حضور اللغة العربية في بلدان افريقيا الفرنكفونية : للسيد بكري درامي ، منشورة في الشبكة العنكبوتية .

الهوامش

١- لمزيد من التوضيح والبيان يرجع إلى كتابنا « الفقه والفقهاء في غينيا ».

٢- www. Lafrancophonie.org.